

«الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي وعلم المناسبة القرآنية من النظر السديد إلى طرق التجديد»  
أ.م.د. طه فريح صالح + د. هندي عبيد مخلف | ٥٤٥

**الأستاذ الدكتور  
فاضل صالح السامرائي  
وعلم المناسبة القرآنية  
من النظر السديد  
إلى طرق التجديد**

أ.م.د. طه فريح صالح  
كلية التربية للبنات/ الجامعة العراقية

د. هندي عبيد مخلف  
كلية الآداب/ الجامعة العراقية



**Search summary:**

**Prof. Dr. Fadel Saleh Al-Samarrai and the Science of the Qur'anic Occasion from a good look at the methods of renewal**

**This research stands at one of the flags of Iraq, which knew and loved Arabic, and it was the way to live in the shadows of the Holy Quran, picking its fruits, and spending the night and day. He made the flag of the occasion his motto, so our search came at the said address.**

**He learned the occasion of the important sciences in reaching and understanding the miracles of the Qur'an.**

**Our professor, Dr. Fadhil al-Samarrai, was a diverse culture, impermeable to the Arabic flag, and brought great benefits from the graphic interpretation and the Qur'anic miracle.**

**He had a distinguished effort on the knowledge of the Qur'anic occasion, understanding and employing;**

## ملخص بحث

الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي وعلم المناسبة القرآنية من النظر السديد إلى طرق التجديد يقف هذا البحث عند علم من أعلام العراق، عرف العربية وأحبها؛ فكانت الطريق الموصلة إلى أن يعيش في ظلال القرآن الكريم، فيقطف ثماره، وقضى فيه ليله ونهاره. فجعل من علم المناسبة شعاره؛ لذا جاء بحثنا على العنوان المذكور.

وعلم المناسبة من العلوم المهمة في الوصول إلى اعجاز القرآن وفهمه.

وأن أستاذنا الدكتور فاضل السامرائي كان متنوع الثقافة، متبحراً بعلم العربية، جاء بفوائد جمّة عن التفسير البياني، والإعجاز القرآني.

وكانت له جهود متميزة عن علم المناسبة القرآنية فهماً وتوظيفاً؛ فأجرى عليها السياق، فأخرجت له أسرارها وثمارها.



## المقدمة

وليكون هذا البحث مساهمة منا في المؤتمر الدولي الذي تقيمه الجامعة العراقية حول (الإسهام الحضاري لأعلام العراق في القرن العشرين). وقد جاء هذا البحث بعد المقدمة في مبحثين وخاتمة:

تناول المبحث الأول: الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي: سيرة، ومسيرة.

وكان المبحث الثاني: علم المناسبة عند السامرائي ماهية ووظيفة.

وختمنا البحث بأهم النتائج التي توصل اليها.

ختاماً.. نسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث وفاءً منا لأستاذنا الذي لم يبخل بعلمه، وجهده، ووقته على طلبة العلم، سواءً في داخل العراق أو خارجه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد؛ إنَّ بلدًا مثل العراق، عريق بحضارته، علم الدنيا القراءة والكتابة، ووضع أهله أوّل قوانين الأرض، كان ولا يزال متبعًا للعلم والعلماء. جعل الله فيه خزائن علمه، وخزائن رحمته. لا يزال هذا البلد رغم كل الظروف يمدُّ الدنيا بعلماء أعلام في كل فنون العلم والمعرفة، ويتشرون على وجه المعمورة يعلمون الناس الخير ويضعون بصمتهم في عمارة الأرض، وبنائها، وإصلاحها.

وقد كان للقرن العشرين مكانته بين القرون؛ حيث أنجب علماء أفذاذ في شتى فنون المعرفة، كان من بينهم الدكتور فاضل السامرائي، الذي ملأت كتبه المكتبة العربية، وكان لآرائه الجديدة أكبر الأثر في فهم نصوص اللغة وقواعدها، ثم نصوص القرآن الكريم من حيث البلاغة، والبيان، والإعجاز.

إنَّ عالمًا كالسامرائي يستحقُّ الوقوف أمام علمه وكتبه وقفة متأملة لما أنتجته أنامله، وجادت به بنات أفكاره؛ فكان هذا سببًا لاختيار هذا الموضوع الموسوم بـ(الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي وعلم المناسبة القرآنية من النظر السديد إلى طرق التجديد)، علنا نوفي هذا العالم جزءًا من حقه على طلبة العلم؛ ولنبرز دور السامرائي في إسهامه في البناء الحضاري للأمة في القرن العشرين، من خلال كتبه ومؤلفاته.



«الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي وعلم المناسبة القرآنية من النظر السديد إلى طرق التجديد»  
أ.م.د. طه فريح صالح + د. هندي عبید مخلف | ٥٤٩

وتتميز المترجم بحسن الذكاء، وصفاء الذهن، وجمال السمات؛ فانتفع بتوجيهات والده، فأقبل على العلم تعلمًا وبحثًا، وقد انتفع من شيوخ العلم وأساتذته في الجامعة وخارجها، منهم: الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى، والأستاذ الدكتور مصطفى جواد، والأستاذ الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، والأستاذ الدكتور محمود غناوي الزهيري، والأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي، والأستاذ الدكتور سليم النعمي، وغيرهم رحمهم الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

• تحصيله العالي، وأشغاله الوظيفية:

في عام (١٩٥٣ م) عُيِّنَ معلمًا للتعليم الابتدائي في مدينة (بلد)، وهي إحدى المدن القريبة من سامراء محل ولادته، ثم انتقل إلى مدارس سامراء ليوصل مهنة التعليم فيها.

وفي عام (١٩٥٧ م) وبتفوق ونجاح باهرين أكمل دراسته الجامعية في (دار المعلمين العالية/ كلية التربية حاليًا) بقسم (اللغة العربية)، وتخرج منها عام (١٩٦١ - ١٩٥٠)، وحاز على درجة (البكالوريوس)، بتقدير (امتياز)، وعاد إلى سلك التعليم في التدريس الثانوي، ومارس هذه المهنة الشريفة.

العربية وآدابها). ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ٤، بتصرف يسير؛ وجهود فاضل السامرائي في التفسير البياني: رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- بغداد، تقدم بها الطالب (بشار عواد عثمان البدراني)، لنيل درجة الماجستير في (علوم القرآن) ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م؛ والقصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في العراق: د. بهجت عبد الغفور الحديثي، ط ١، المكتب الجامعي الحديث، مصر: ٢٩٩. (٣) ينظر: جهود د. فاضل السامرائي النحوية: ٦، وجهود السامرائي في التفسير البياني: ٥.

## المبحث الأول

### الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي: سيرة، ومسيرة

• اسمه، وشهرته:

فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدرى<sup>(١)</sup>. ويعرف بين الباحثين بـ(فاضل السامرائي)، بـ(أبي محمد)، ومحمد هو أكبر أولاده، وله ولدان وبتتان.

• ولادته، ونشأته:

ولد الدكتور فاضل السامرائي في سامراء عام (١٩٣٣م)، في عائلة متوسطة الحال الاقتصادية، كبيرة في الحالة الاجتماعية والدينية.

أكمل دراسته الابتدائية في (المدرسة الابتدائية الأولى) في سامراء؛ حيث دخلها في عام (١٩٤١م)، وتخرج منها عام (١٩٤٦م) ليكمل بعدها دراسته المتوسطة في عام (١٩٥٠م)، ثم دراسته الاعدادية في (ثانوية جمعية المعلمين المسائية)، وهي مدرسة أهلية؛ إذ لم تكن في (سامراء) يومئذ مدرسة حكومية، وتخرج منها عام (١٩٥٢م).

انتقل بعد ذلك إلى مدينة (الأعظمية) في بغداد، ودخل دورة تربوية لإعداد المعلمين، وتخرج فيها عام (١٩٥٣م) وكان متفوقًا في مراحل دراسته كلها<sup>(٢)</sup>.

(١) عشيرة من عشائر سامراء.

(٢) ينظر: جهود فاضل السامرائي النحوية، رسالة ماجستير في جامعة تكريت- كلية التربية، تقدم بها الطالب (طلال وسام أحمد البكري)، لنيل درجة (الماجستير) في اللغة

وفي عام (١٩٦٢ م) دخل في قسم الماجستير (القسم اللغوي) في أول دورة فُتحت للدراسات العليا في العراق، وحاز على درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة بغداد.

وفي السنة نفسها عُيِّنَ مُعيداً في قسم اللغة العربية بكلية التربية - جامعة بغداد عام (١٩٦٥ م).

ونال شهادة (الدكتوراه) في جامعة (عين شمس) في كلية الآداب - قسم اللغة العربية، في جمهورية مصر العربية عام (١٩٦٨ م).

ثم رجع إلى موطنه، وعين في جامعة بغداد/ كلية الآداب، وذلك بعد دمج كلية التربية بكلية الآداب، وعين عميداً لكلية الدراسات الإسلامية المسائية في سبعينيات القرن الماضي إلى حين إلغاء الكليات الأهلية في العراق<sup>(١)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أنَّ السامرائي حفظه الله قد ارتقى من معيد إلى مدرس بعد حصوله على درجة (الدكتوراه)، ثم حصل على مرتبة (الأستاذ المساعد) في عام (١٩٧٢ م)، ثم رُقي إلى مرتبة (الأستاذية) في عام (١٩٧٩ م).

وهو قد أشرف على كثير من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه، وناقش كثيراً منها في قسم اللغة العربية، والأقسام الأخرى ذات الصلة في الجامعات العراقية.

في عام (١٩٧٩ م) أُعير إلى جامعة الكويت في قسم اللغة العربية، واستمر في التدريس حتى عام (١٩٨٣ م).

(١) ينظر: جهود د. فاضل السامرائي في التفسير البياني: ٣، وذكر الطالب أنَّ هذه المعلومات أخذها عن رسالة أرسلها الدكتور فاضل إليه بتاريخ ١٩٩٩/١/٢٨ .

وفي عام (١٩٨٣ م) عاد إلى بلده (العراق)، وعمل خبيراً في (لجنة الأصول في المجمع العلمي العراقي)، عُيِّن بعدها عضواً عاملاً في (المجمع العلمي العراقي) عام (١٩٩٦ م)، ثم أُحيل إلى التقاعد عام (١٩٩٨ م)<sup>(٢)</sup>.

سافر بعد ذلك إلى (دولة الإمارات العربية المتحدة) في عام (٢٠٠٠ م)، وعمل أستاذاً للنحو في قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم في جامعة الشارقة، ثم ترك عمله في الجامعة المذكورة، وبقي يتردد بين العراق ودولة الإمارات؛ ليستكمل برنامجه المشهور على قناة الشارقة (لمسات بيانية)، وهو الآن مقيم في داره ببغداد الحبيبة، عاكف على مكتبته، يخرج الكنوز المخبوءة في التعبير القرآني، وينفع السائلين والباحثين بأجوبته الماتعة النافعة.

#### • مكانته العلمية:

يمتاز السامرائي بتحليله للنصوص تحليلاً عميقاً، متقصباً لمعانيه، متفكراً في مبانيه بطريقة سهلة جزلة للعالم والمتعلم، مؤكداً على الالتفات إلى المعاني، وعدم الجمود على الألفاظ في معظم كتبه، يكثر من تعليقه للظواهر اللغوية والبلاغية التي أغفلها السابقون.

وهو صبور في البحث، كثير التنقيب لا يمل ولا يكل للوصول إلى تجليات العلم، وأسرار المعاني، يقول في مقدمة كتابه (معاني النحو): (لقد أمضيت في هذا البحث - يعني كتاب معاني النحو - أكثر من عشرة أعوام، وكان شغلي الشاغل في الليل والنهار، أتأمل النصوص، وأديم النظر فيها، وأوازن بينها، وأدقق

(٢) ينظر: جهود الدكتور السامرائي النحوية: ٥، بتصرف

- فيما تحتمله من معانٍ) (١).
- ٢- الجملة العربية والمعنى.
- ٣- الجملة العربية: تأليفها، وأقسامها.
- ٤- معاني الأبنية في العربية.
- ٥- معاني النحو.
- ج. التعبير القرآني، والتفسير البياني:
- ١- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني.
- ٢- التعبير القرآني.
- ٣- على طريق التفسير البياني (ثلاثة أجزاء).
- ٤- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل.
- ٥- أسئلة بيانية في القرآن الكريم.
- ٦- من أسرار البيان القرآني.
- ٧- التناسب بين السور في المفتوح والخواتيم.
- د. في الثقافة الإسلامية:
- ١- نبوة محمد ﷺ من الشك إلى اليقين.
- ٢- نداء الروح.
- هـ. البحوث والمقالات (٤):
- ١- مأخذ على كتاب الانصاف للأنباري، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد الرابع، بغداد، ١٩٧٢.
- ٢- العطف على اسم لا، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد السادس، بغداد، ١٩٧٥.
- ٣- اسلوب التميز ومعناه، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج ٢٨، بغداد، ١٩٧٧.
- ٤- واو الحال، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج ٣، مجلد ٣٥، بغداد، ١٩٨٤.
- ٥- حذف الفعل على الاغراء و التحذير، مجلة
- للدكتور فاضل السامرائي مؤلفات كثيرة في النحو، وفي التفسير البياني، وله أبحاث ومقالات كثيرة تشكل كنزاً وثروة علمية كبيرة لطلاب العلم، أنبأت عن قدرته في الكتابة وعمق ثقافته، وسعة اطلاعه، وثاقب بصيرته وفكره. وامتازت مؤلفاته بروح التجديد واستنباط المعاني ذات الأصل العلمي، والقاعدة اللغوية المحكمة (٣).
- أما عباراته في الكتابة فإنها تمتاز بسهولة الأسلوب، تنفع القارئ باستيعابها ووصولها إلى ذهنه من غير معاناة ولا تكلف. وسنورد مؤلفاته على النحو الآتي:
- أ. كتب الشخصيات:
- ١- ابن جني النحوي (رسالة ماجستير).
- ٢- أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية.
- ٣- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري (اطروحة دكتوراه):
- ب. كتب النحو واللغة:
- ١- تحقيقات نحوية.
- (١) معاني النحو: د. فاضل السامرائي، بيت الحكمة- جامعة بغداد، ١٩٨٦-١٩٨٧: ١٠/١.
- (٢) ينظر: جهود فاضل السامرائي النحوية: ٥-٦.
- (٣) ينظر: جهود فاضل السامرائي النحوية: ٦.
- (٤) ينظر: جهود السامرائي النحوية: ١٤-١٥؛ وجهود السامرائي البيانية: ١٤.

المجمع العلمي العراقي، ج ٢، مجلد ٣٦، بغداد، ١٩٨٥.  
برضاه، قالها في رحلة الايمان، رحلة الحج عام ٢٠٠٠م.<sup>(٢)</sup>

٦- المعاني المشتركة بين حروف الجر، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج ٤، مجلد ٣٩، بغداد، ١٩٨٨.  
سعت ولم اركب اليك النواجيا  
وجئتك يا ربّاه رجلا حافيا  
يسابقني قلبي اليك وخاطري

٧- المشكلات اللغوية الحديثة، بحث في كتاب الواقع اللغوي المعاصر، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩١.  
مغذا اليك السير هيمان صاديا  
جفوت منامي والخلّيون هجع  
نيام ولكن الكرى ما اهتدى ليا

٨- المعجم الذي نريد، المجمع العلمي العراقي، بحث في كتاب الندوة المعجمية العربية، بغداد، ١٩٩٢.  
وناموا وما نامت عيون مسّهد  
يبيت طوال الليل يقظان صاحيا  
فزعت إلى مولاي أطرق بابه

٩- النحو واليسير، المجمع العلمي العراقي، بحث في كتاب محاضرات الندوة المفتوحة، بغداد، ١٩٩٤.  
واستصرخ الرحمن أن يفتح ليا  
فهل يفتح المول لمثلي بابه  
وقد جئته صفرا من البر عاريا

وأستاذنا الدكتور فاضل صالح السامرائي له حس أدبي، قال الشعر، وقصائده لطيفة المعاني، جميلة المباني .  
وهل يغسل الأوضار صب مدامع  
وقد كنّ سوّدن السنين الخواليا  
أتيت إلى الرحمن أطلب عفوه

قال الدكتور بهجت الحديشي : (لم يعرف عنه انه شاعر، على الرغم من انه شاعر، نظم الشعر في سن مبكرة، وله اشعار تعود إلى الخمسينات، ولكنه لم يحتفظ بشعره ولا يريد ان يعرف عنه انه شاعر . فأقرب الناس اليه لا يعرف عنه ذلك)(١) .  
وقائمة الأوزار ملأى كما هيا  
فهل يقبل الديان مني رجعة  
وبي من كبير الإثم والذنب مايا  
علمت بان الله يقبل عبده  
إذا جاء توابا، وقد جئت ساعيا

ومن شعره اللطيف قوله : في قصيدة بعنوان (ربّاه) يناجي بها ربه، ويسأله أن يغفر ذنبه، وييسر أمره، وأن يفوز بالنظر إلى وجهه الكريم وأن يحضى  
منيبا إلى ربي ليقبل توبتي  
وقد قيل لي : لا يطرد الله آتيا  
فيا رب لا تطرد ذليلا مضيقا  
هوى مستجيرا عند بيتك جائيا

(١) القصيدة الاسلامية وشعرائها المعاصرون في العراق:

الدكتور بهجت عبد الغفور الحديشي، المكتب الجامعي

الحديث، الاسكندرية، ط ١، ٢٠٠٣م: ٣٠٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٠٤ ٣٠٥ .



## التفسير البياني عند السامرائي

### • التفسير البياني:

هو الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية، كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، واختيار لفظة على أخرى، وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير<sup>(١)</sup>.

في عام (١٩٨٦ م) بدأت جهود الدكتور فاضل السامرائي في الميدان البياني، وإن كانت قبل ذلك ماثوثة في ثنايا كتابه (معاني النحو) الذي أمضى في تأليفه أكثر من عشرة أعوام، وكان شغله الشاغل في الليل والنهار، تأمل النصوص، وإدامة النظر فيها، والموازنة بينها، وكان مصدره الأوّل للبحث هو كتاب اله سبحانه وتعالى...<sup>(٢)</sup>.

فجهود السامرائي قديمة في هذا المضمار، ففكرة فقه النحو، وسر التعبير، وسياق الجملة، وتباين التعبير، كل هذه كانت تحتلج في عقله وقلبه، حتى تفجرت طاقاته المكنونة، وسطع نجمه في كتابه (معاني النحو)<sup>(٣)</sup>.

ثم ألف السامرائي بعد ذلك كتابه الرائع (التعبير القرآني)، وهو محاولة للكشف عن مواطن الفن والجمال والتبصر بقسم من أسرار التعبير القرآني،

(١) ينظر: على طريق التفسير البياني، د. فاضل السامرائي، نشر جامعة الشارقة، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م: ٧.

(٢) ينظر: معاني النحو: ١-١٠.

(٣) ينظر: جهود السامرائي في التفسير البياني: ٢٩.

يلوذ برب البيت والركن خائفا  
ويمسح مسكوبا على الخد جاريا  
يمد يديه نحو بابك سيدي  
أيرجع صفرا من جميلك خاليا  
أيرجع مطرودا وقد خاب ظنه  
وقد كان حسن الظن كل رجائيا  
وانت الذي قد طبق الكون جوده  
وليس جواد في الحقيقة ثانيا  
لقد قيل فيما قبل من شعر من مضى  
ومن قصد البحر استقل السواقيا  
فكيف، وقد جئت الذي أوجد الوري  
وعم نداء الكائنات الثمانيا  
فما من مجير غير حلمك سيدي  
وما من مجيب غير فضلك داعيا  
فحسبي ربي ان افوز بنظرة  
وحسبي ربي ان تكونن راضيا  
فياليت شربي غير ودك غصة  
وياليت شربي من وداك صافيا



مع كلمة، بل وحرفاً مع حرف، وكما هو معلوم أن القرآن نُزِّلَ منجماً طيلة ثلاث وعشرين سنة، وهو مرتب ترتيباً توقيفياً، وليس كما نُزِّلَ. وإنا لنجد السورة المدنية التي نزلت بعد المكية قد توضع قبلها، ونلاحظ التناسب بينها وبين السورة التي قبلها والتي بعدها، بل نجد الآية المكية بين آيات السور المدنية او العكس، ولا نجد تبايناً في الكلام، بل نجدة الوحدة الموضوعية المتناسقة المتألقة، وهذا سر من أسرار الإعجاز.



وتم كتابه في عام (١٩٨٦م)<sup>(١)</sup>. ثم أُلِّفَ بعده كتابه الموسوم (لمسات بيانية من نصوص التنزيل)، حيث كان هذا الكتاب إجابة على أسئلة عُرضت على السامرائي عن بعض التراكيب القرآنية، واختار بعض النماذج من سور القرآن الكريم ليبين ما فيها من أسرار تعبيرية، ولمسات بيانية، وقد أتم كتابه هذا في عام (١٩٩٩م). وقد شعر السامرائي بعد هذا الكتاب بأهمية مفردة في البلاغة القرآنية، فعمد إلى تأليف كتابه (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني)

ثم تتابعت جهوده في طريق الوصول إلى مكونات كتاب الله سبحانه وتعالى، وعظيم بلاغته وبيانه إلى أن أصدر الجزء الأول من كتابه (على طريق التفسير البياني) ولم يسمه (التفسير البياني)؛ لأنه إنما هو خطوة على طريق التفسير البياني<sup>(٢)</sup>.

هذه أهم كتبه في الإعجاز البياني للقرآن الكريم، علماً أنه لديه مؤلفات أخرى في النحو وغيرها.

وإذا تتبعنا أقوال أكثر المفسرين سواء المتقدمين منهم او المتأخرين نجدهم يعدون (علم المناسبة) من العلوم المهمة للمفسر، وقد اهتموا بهذا العلم لأنه يثبت عظمة القرآن وتناسق آياته وسوره، وجوده سبكه، وإحكام سرده، وتماسك كلماته مما لا يدانيه كلام بشر، الذي أنزل على محمد ﷺ ليكون معجزة مصدقة له، فلو نظرنا إلى تناسب سورة مع سورة أخرى نجدها وحدة متشابكة آية مع آية، كلمة

(١) ينظر : التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي : ١٠ .

(٢) ينظر : على طريق التفسير البياني : ٥ / ١ .

(النَّسَبُ، والنُّسْبَةُ: قرابة، وفلان يناسب فلانًا، فهو نسيبه، أي: قريبه، ومن المجاز المناسبة بمعنى المشاكلة، أي: المشابهة، يقال: بين هذين مناسبة وتناسب، أي: مشابهة وتشابه) (٢).  
ثانيًا: تعريف المناسبة اصطلاحًا:

ان للمناسبة تعريفات عدة، وهي قد تكون متشابهة. نذكر ما قاله الزركشي: (بأنها علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، والمناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول... والمناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها، والله أعلم إلى معنى ما رابط بينها عام أو خاص، أو عقلي، أو حسي، أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظرين والضدين، ونحوه، أو التلازم الخارجي كالمترتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر...) (٣).

(٢) علم المناسبة وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف أسراره: أ.د. نور الدين عتر، دار الغوثاني للدراسات القرآنية- دمشق، ط/١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م: ٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن: أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/١، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية: ٣٥/١. وفي هذا التعريف وينظر: مناسبات الآيات والسور: أ.د. أحمد حسن فرحات؛ والإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفه بنت الشاطيء؛ وعلم الإعجاز بين الفن والتأريخ: أ.د. خليل رجب حمدان الكبيسي، مركز الدراسات والنشر، صنعاء، اليمن، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

## المبحث الثاني

### علم المناسبة عند السامرائي ماهية ووظيفة

• تعريف علم المناسبة لغة واصطلاحًا:  
أولاً: المناسبة في اللغة:

المناسبة: اي المشاكلة، ونسبت بالنساء، وتنسب نسيبًا، ومنسبة: شَبَّ بهنَّ في الشعر وتغزل، وهذا الشعر أنسب من هذا، أي: أرق نسيبًا، وكأنهم قد قالوا: نسيبٌ ناسٌ، على المبالغة، فبني هذا منه مبالغة. وقال شمر النسيب، رقيق الشعر في النساء، وأنشد:

هل التَّعَلُّلُ من أسماء من حوب

أم في القريض وإهداء المناسيب؟  
(وأنسبت الريح: اشتدَّت، واستأقت التراب والحصى. والنَّسِيبُ، والنَّسِيان: الطريق المستقيم الواضح، وقيل: هو الطريق المُستدقُّ كطريق النمل والحية وطريق حُمُر الوحش) (١).

(١) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الأزهرى الهروي، أبو المنصور (ت: ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط/١، ٢٠٠١م: ١٢/١٣؛ وينظر: مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م: ٤٢٣/٥؛ ولسان العرب: محمد بن مكرم أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١ هـ)، دار صادر- بيروت، ط/٣، ١٤١٤هـ: ٧٥٦/١.

الكريم، واحتفلوا به وسجلوه مفخرة لمن كان يهتم بهذا العلم.

وقد احتل هذا العلم الاهتمام والإعلان عنه، حتى كان من المفسرين من يعيب على المقصرين فيه، بل قد عدَّ العلماء تفسير المناسبة من جملة خطوات التفسير التي ينبغي أن يسير عليها المفسر.

وقد تناول أبو جعفر الغرناطي الاندلسي المناسبات وتعمق في دراستها في كتابه (البرهان في تناسب سور القرآن)، وسمي (البرهان في ترتيب سور القرآن)<sup>(٢)</sup> وكتابه (ملاك التأويل القاطع...).

ومن يطلع على هذين الكتابين يرى فيهما ما يقر عينه من الاقوال المدهشة في المناسبة. وذكر في كتابه الاول - أي التفسير - مناسبة كل سورة وما قبلها ابتداء من الفاتحة وانتهاء بسورة الناس .

وفي كتابه الثاني فقد كان لذكر المناسبة معنى آخر، وهو الرد على الشبهات والمطاعن الموجهة الى القرآن الكريم، فذكر المناسبة في الرد بصورة مدهشة حيرة الالباب. ومن اراد الزيادة فعليه الرجوع الى كتابيه الجليلين.

قال الإمام السيوطي عن علم المناسبة: (علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته)<sup>(٣)</sup>، ثم ذكر فائدة علم

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن: أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨ هـ)، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، ط/١، ١٤٢٨ هـ.

(٢) ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أبو جعفر الغرناطي، ١ / ١٤، ٢٧، ٤٨.

(٣) الاتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد ابو

وهذا ليس تعريفاً لعلم المناسبة، بل هو شرح للمناسبة، وفيه شرط: وهو القبول، والمقصود أنها: لا يرفضها العقل، وأما أنها تعارض أمر الدين، فهذا غير معقول من باب أولى، قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتُمْ فَصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود الآية ١].

ومن خلال دراستي لعلم المناسبة تبين لي أن التعريف الأمثل لعلم المناسبة هو: علم اجتهادي لإظهار الإعجاز القرآني في بيان الربط بين أجزاء القرآن الكريم في الآيات والسور<sup>(١)</sup>.

وهذا العلم يجب أن يكون على وفق ضوابط وأصول، فعلى من يكتب في المناسبة، -وهي جزء من التفسير- يجب أن تتوافر فيه شروط المفسر وآدابه.

وهذا لا يتأتى للمفسر إلا بالعلم النافع والتبحر بألة التفسير، لا سيما علوم العربية، والعلوم المساندة، وأن لا يجزم أن هذه المناسبة هي الأصح، فلربما يأتي من هو أبصر منه في هذا العلم العظيم، والأهم من ذلك أن لا تكون فيها شائبة او مخالفة تخالف المقاصد الشرعية الإسلامية.

#### • أهمية علم المناسبة:

عني العلماء من أئمة التفسير بعلم المناسبة في القرآن

(١) ينظر: الاتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ- ١٩٨٧ م: ٢٥١ / ٤؛ والأصلان في علوم القرآن: د. محمد عبد المنعم القبلي، ط/١، مزينة ومنقحة، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦ م: ١٣٤-١٤٠؛ ودراسات في علوم القرآن: د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط/١٢، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م: ١٤١-١٧٠.

جرير الطبري، ومن المتأخرين ابن كثير.  
قال الأستاذ نور الدين عتر: (نعم، إن البراعة في هذا العلم نادرة، لا سيما بالأعصر الأولى لعمقه ودقته ولعدم تمهيد سبله)<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا يؤكد البقاعي على أهمية علم المناسبة فيقول: (هو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك في معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو)<sup>(٥)</sup>.

وقد تنبّه غير واحد من المعاصرين إلى أهمية هذا العلم، وضرورة العودة إلى مدارسته، وتفتيق فصوله وأبوابه، يقول (محمد محمد أبو موسى): (وهو علم شريف تُحرز به العقول، ويعرف قدر القائل فيما يقول، وبه تنكشف روابط الآيات... ونرى أن علم المناسبة يجب أن تُدرس وسائله، وتستخلص أصوله)<sup>(٦)</sup>.

#### • فوائد علم المناسبة:

إنَّ الله سبحانه وتعالى أودع في كتابه الكريم علماً

(٤) علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه: أ. د. نور الدين عتر، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط ١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (ت ٨٨٥هـ، ١٩٨٥م)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ٦/١.

(٦) الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م: ٢٢٢.

المناسبة، وهو مقارب لما قاله الزركشي<sup>(١)</sup>.  
وقال: (ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم)<sup>(٢)</sup>.

ومن محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعاً، وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منه وفوائده عزيزة.

قال الشيخ أبو الحسن الشهرباني: (أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم تكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة)<sup>(٣)</sup>.

وقد اعترض بعض العلماء على قضية إهمال المفسرين لعلم المناسبة ولم يعدوه منقصة؛ لأنهم إنما اختصروا فيه لعدم الإطالة لا سيما أئمة التفسير المجتهدون.

أما أهل التفسير بالمأثور فانهم لا بد لهم أن يبحثوا في علم المناسبة في مواضع تحتم عليهم ذلك، وهذا واضح عند إمامي التفسير بالمأثور من المتقدمين: ابن

الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م: ٣ / ٣٦٩.

(١) المصدر نفسه: ٣ / ٣٧١.

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م: ١ / ٤٤.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١ / ٣٦.

غزيراً، وحثَّ عباده على التفكير فيه والتدبر والفهم، وعلم المناسبة من الأسرار المكنونة في هذا الكتاب العظيم، ولا تظهر لكل من يقرؤه، لكنَّ الله تعالى يختص برحمته من يشاء ويهب لمن يشاء ما يشاء، وهذا العلم موهبة من الله لعباده الذين شاء لهم أن يطلَّعوا على هذه المزايا بعد علم ومثابرة واجتهاد في الطلب<sup>(١)</sup>.

وقال الزركشي: (واعلم أنَّ المناسبة علم شريف تحرز به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول)، ثم قال: (وفائدته: جعل اجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله من حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء)<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام السيوطي: (اعلم أنَّ المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول: وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيّف عن الأربعين حكماً)<sup>(٣)</sup>. ثم قال: (علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته). وذكر فائدة علم المناسبة: وهو مقارب لما قاله الزركشي<sup>(٤)</sup>.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (هذا باب عظيم - أي: علم المناسبة - في معرفة الله ومعرفة

أحكامه، وهو من أجل المعارف وأشرف العلوم)<sup>(٥)</sup>. وقال النورسي: (ان سر المناسبة بين الاشياء صير أكثر الامور كالمرايا التي تتراءى في أنفسها؛ هذه في تلك وتلك في هذه)<sup>(٦)</sup>.

وذكر الدكتور صبحي الصالح قوله: (علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وفسرت في ضوئه أكثر أحكامه وشرائعه)<sup>(٧)</sup>.

وقال مناع القطان: (معرفة المناسبة بين الآيات تساعد كذلك على حسن التأويل، ودقة الفهم، ولذا أفرد بعض العلماء هذا المبحث بالتصنيف)<sup>(٨)</sup>.

وبعد أن جمعنا أقوال العلماء في فوائد هذا العلم، وعلى الرغم مما أتوا بكل ما هو ممتع ومقنع ومؤنس في دراساتهم التطبيقية والنظرية.

نستطيع القول: أن لكل مناسبة فائدة، فهي إما أن تكشف عن سر من أسرار الإعجاز البلاغي أو العلمي أو التشريعي... أي: بقدر العلوم التي احتواها القرآن الكريم، أو تعين على حل إشكالات التفسير، فضلاً عن الأدلة التي استدلت بها العلماء الذين أجازوا هذا العلم، وهي أدلة عقلية مقنعة لكل

(٥) القواعد الحسان في تفسير القرآن: أبو عبدالله عبد الرحمن بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ)، مكتبة الرشد- الرياض، ط/١، ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م: ٥٣/١.

(٦) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي (ت: ١٣٧٩ هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر - القاهرة، ط/٣، ٢٠٠٢ م: ٦٩/١.

(٧) مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، ط/٢٤، ٢٠٠٠ م: ١٥١.

(٨) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/٣، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨ م: ٨٨.

(١) ينظر: مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور: عادل بن محمد أبو العلاء، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٥ هـ: ١٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٣٥-٣٦.

(٣) الاتقان في علوم القرآن: ٣/٣٣٩.

(٤) المصدر نفسه: ٣/٣٦٩، ٣٧١.

عارف أو دارس اشتغل بميادين المعرفة في الدراسات الإسلامية، كذلك فانه يبين للدارسين وغيرهم من العوام أن هذا كتاب مقدس لا يأتيه الباطل، وعظمته مستمدة من عظم منزله، وان هذا العلم يفند الشبهات والباطيل التي جاء بها المبطلون وأعداء الإسلام، فبين لنا أن هذا الكلام الذي نزل خلال نيف وعشرين عامًا مترابط الأجزاء، محكم النسيج والبناء وعلى الرغم من تعدد مواضيعه وتشعبها، إلا أنه يبين لنا مقاصد السور وحكمة ترتيبها، ومن فوائد هذا العلم التي لا تحصى أنه أبرز لنا التفسير الموضوعي الذي أثار اهتمام العلماء وأدهش عقول النجباء، وما زالوا يبحثون فيه ويخرجوا لنا من بحره الدرر الثمينة، وهنا يبرز دور المفسر الموضوعي وعلمه ودقته وفهمه لكلام رب العالمين، فهو كالناقد الذي يدل على مواطن الجمال والبداعة في القصيدة. وبعد هذا: لا نستطيع الإحاطة والإحصاء ولكننا تعرفنا على فائدة هذا العلم عند قراءة كتب التفسير التي اهتم مؤلفوها بهذا العلم، ولا يفوتنا ذكر المقولة التي لا زال صداها يجتذب الأسعاج: (من إعجاز القرآن أن يظل مشغلة الدارسين العلماء جيلا بعد جيل، ثم يبقى أبداً رحب المدى سخى المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية، امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح، عالياً يفوت طاقة الدارسين)<sup>(١)</sup>.

قائم على لب علم المناسبة، الذي لهج فيه كثيراً، ونثره في كتبه المتنوعة في التعبير القرآني، بل يلح أستاذنا على المناسبة؛ فأخرج كتابه القيم (التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم).

والمطالع لتلك الكتب التي وضعها في التفسير البياني، والتعبير القرآني يجد أن المناسبة تتجلى فيما يأتي:

- أولاً: علل اختيار الحرف.
- ثانياً: علل اختيار الكلمة.
- ثالثاً: علل التكرار.
- رابعاً: علل المفتتح والخواتيم.
- خامساً: التناسب العام بين السور.

وهذا العلم يتكشف لذوي الأفهام، المولعين بكلام الواحد العلام؛ لذا يلوح لهذا ما لا يلوح لذلك، ومن ذاق عرف، والأمر فيه جد واجتهاد.

يقول السامرائي في كتابه (التناسب بين السور): (إن الناظر في هذا الموضوع المتأمل فيه يظهر له بصورة واضحة أن القرآن وحدة متكاملة متناسبة في سوره وآياته وترتيبه، كأنه كما قيل: آية واحدة... كما لا أدعي أن ما ذكرته هو الصحيح الذي لا معدل عنه، بل إننا ذكرت إننا هو ما ظهر لي أنه وجه من وجوه التناسب، ولا شك أن من القدامى من ظهر له غير ذلك، أو ما هو أفضل مما ذكرت)<sup>(٢)</sup>.

ويقول الدكتور سعيد الفلاح: (فمعيار الطبع والتكلف في إثبات المناسبة بين الآي والسور إنما يعود أساساً إلى مدى التماثل والتقارب، أو البعد والتنافر

(٢) التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم: د. فاضل السامرائي، دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م: ٨.

وقد أفنى أستاذنا السامرائي سنين طوال في تدبر القرآن الكريم، وبناء سوره، وترتيب آياته ونظام ألفاظه، وكان كثيراً ما يردد عبارته المشهورة (التعبير القرآني: تعبيرٌ فني مقصود)، ولا ريب أن هذا القصد الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرقي: ١٧/١.

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ  
وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا  
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ [البقرة  
الآية ٢٨٥]. فجاء مختتم السورة موافقاً لمفتحتها، وفيه  
شهادة للمؤمنين أنهم تحققوا بصفات المهتدين الذين  
ذكر وصفهم في مفتتح السورة، وهو بشارة لهم  
بالفوز والفلاح<sup>(٢)</sup>.

ولعل من اهتم به الدكتور السامرائي في كتابه، وخاصة  
التفسير البياني، قضية مناسبة خاتمة السورة لفاتحتها،  
فكان يحاول أن يربط بين بداية السورة وخاتمتها  
بأسلوب بسيط وواضح يجعل القارئ أمام أسلوب  
عظيم لكتاب عظيم لا تجد فيه اختلافاً ولا تناقضاً،  
بل وكأنه يأخذ بعضه برقاب بعض، من ذلك ما  
ذكره السامرائي في ختام سورة الصف وبعد أن أكمل  
تفسير السورة فقال: (نود أن نقول: إن السورة ابتدأت  
بالجهاد والقتال، واختتمت بالتأييد والظفر، فقد  
ابتدأت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ  
فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنِينَ مَّرصُوصٍ﴾ [الصف  
الآية ٤]، واختتمت بقوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا  
عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف الآية ١٤]، مما  
يدل على أن عاقبة الجهاد تأيد الله ونصره؛ فارتبط أول  
السورة بآخرها أحسن ارتباط وأوثق<sup>(٣)</sup>.

(٢) ينظر: البحر المحيط في تفسير القرآن: أبو حيان  
محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين  
الأندلسي، (ت ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل،  
دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ. مصر: ٣٦٣/٢، علم  
المناسبات: ٦٧.  
(٣) على طريق التفسير البياني: ٢٣٤/١.

بين الموضوعات؛ فإن تماثلت وتقاربت وارتبطت  
الأوائل بالأواخر فالتناسب معقول مقبول، وإن  
تنافرت وتباعدت؛ فلا سبيل إلى القول بالتناسب،  
وإلا كان التكلف والتمحل والإغراب، وصدق من  
قال: المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته  
بالقبول. إن وجه المناسبة بين الآيات والسور يخفى  
تارة ويظهر أخرى<sup>(١)</sup>.

وسنحاول أن نلتقط أمثلة من كتبه وأبحاثه لنبين  
كلفه بهذا الفن، وهو فن المناسبة.

#### • مناسبة فواتح السور مع خواتمها:

إن هذا الفن من علم المناسبة من أجل العلوم؛ لأنه  
يتبين به غاية القرآن الكريم وارتباط أجزائه بعضها  
ببعض، وقد يجد قارئ القرآن أن هناك ترابطاً وثيقاً  
بين أول السورة وآخرها، كالترايط الحاصل بين أول  
البيت الشعري وآخره، وهذا يظهر جلياً في جميع سور  
القرآن قصارها وطوالها، بل حتى السور الطويلة جداً  
كالبقرة مثلاً، كان هذا التناسب والتناسب بين فاتحتها  
وخاتمتها، حيث بدأ يذكر أوصاف المتقين عندما  
قال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ  
﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة من الآية ٢ إلى الآية ٣].

ثم ختمت السورة بذكر أوصاف المؤمنين وأركان  
الإيمان الذي ينبغي على المؤمنين أن يكونوا عليه،  
حيث قال: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ

(١) البرهان في تناسب سور القرآن: أحمد بن إبراهيم ابن  
الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، تحقيق: سعيد بن  
جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٨هـ. (ص/٦٩،  
من مقدمة المحقق).



إلى ان يقول في خاتمة السورة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر من الآية ٥٤ الى الآية ٥٥]، فكانها تتمه وتكملة، أو نحو هذا لما ذكر في من الاحداث في اول السورة. (١)

مناسبة السورة لما قبلها:

لم يكن اهتمام القرآن مقتصرًا على السورة الواحدة ليراعي أولها آخرها، بل تجاوز ذلك ليكون هناك بين أول كل سورة مع ختام السورة التي سبقتها، وكأن القرآن هو نص واحد من أوله إلى آخره، فلا تجد فيه اختلافًا أو تناقضًا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [البسء الآية ٨٢]. ولهذا لو تأملت في التناسب بين سور القرآن ونظرت إلى افتتاح أي سورة منه لوجدته في غاية الحسن والمناسبة لختام السورة التي قبلها (٢)؛ إلا أنه قد تكون المناسبة ظاهرة واضحة جلية لكل قارئ، وقد تكون خفية تحتاج إلى نظر وتأمل وعلم ومعرفة للوصول إلى تلك الغاية، وهي معرفة علاقة السورة بما قبلها.

وهذا باب مهم من أبواب علم المناسبة؛ إذ اهتم كثير من المفسرين ببيان علاقة كل سورة بالسورة التي قبلها، وهذا ما راعاه شيخنا في كتبه ولا سيما التفسير البياني، فبيّن في مواضع عدة مناسبة السورة التي يتحدث عنها وعلاقتها بالسورة السابقة لها. من ذلك ما ذكره عند تفسير سورة قريش حيث قال: (إن مناسبة هذه السورة لما قبلها - أعني سورة

(١) ينظر: التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم: د. فاضل السامرائي: ٦٦.

(٢) ينظر: علم المناسبات: ٧١.

ثم ذكر مناسبة افتتاح سورة يس لخاتمتها، حيث قال: (ابتدأت السورة بذكر الرسالة الخاتمة، وذكر خاتم الرسل، فقال: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [يس من الآية ٣ الى الآية ٤]، واختتمها بختام الدنيا وانتهائها، فقال: ﴿وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [يس الآية ٢٢].

لقد بدأت السورة بالإرسال وانتهت بالرجوع إلى المرسل، وقال في الأول: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يس الآية ٣]، وقال في الختام: ﴿وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [يس الآية ٢٢]، فجعل الله سبحانه قائل هذا الكلام، ونقول كما قال ربنا: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس الآية ٨٣].

وقد ألمح السامرائي إلى مناسبة افتتاح سورة القمر لخاتمتها، فالله سبحانه وتعالى قال في اولها: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر الآية ١]. ثم ذكر شيئاً من أحداثها بقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ ﴿٦﴾ خَشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَاذِبُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر من الآية ٦ الى الآية ٨].

وذكر العزيز الساعة في خواتيمها وطرفا من أحداثها مما هو بعد الخروج من الاحداث الذي ذكره في بداية السورة وذلك ابتداءً من قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٦٦﴾﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٦٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٦٨﴾﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٦٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٧٠﴾﴾ [القمر من الآية ٤٦ الى الآية ٥٠].

الفيل - ظاهرة، فإن أصحاب الفيل إنما جاءوا بسبب هذا البيت، وقد حفظ الله بيته وحماه وحفظ قريشاً وحماهم، وأهلك أصحاب الفيل إكراماً وتعظيماً لهذا البيت، فكان حفظ البيت حفظاً لهم وحمايته لأمنهم ومعاشهم<sup>(١)</sup>.

قال أبو حيان: (إذ لو سلط عليهم أصحاب الفيل لشتتوا في البلاد والأقاليم، ولم ترتفع لهم كلمة)<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء في التفسير الكبير للإمام الرازي: (اعلم أن الانعام على قسمين:

أحدهما: دفع الضرر، والثاني: جلب النفع، والأول أهم وأقدم؛ ولذلك قالوا: دفع الضرر عن النفس واجب؛ أما جلب المنفعة غير واجب، فلهذا السبب بين الله تعالى نعمة دفع الضرر في سورة الفيل ونعمة جلب النفع في هذه السورة، ولما تقرر أن الانعام لا بد أن يقابل بالشكر والعبودية لا جرم اتبع ذكر النعمة بطلب العبودية)<sup>(٣)</sup>.

ويذكر لنا السامرائي في مطلع حديثه عن تفسير سورة الحديد مناسبة لما قبلها؛ إذ يقول: (وجه ارتباط مفتتح السورة هذه بخاتمة السورة قبلها ظاهر ذلك أنه قال في خاتمة السورة التي قبلها، وهي سورة الواقعة ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة الآية ٧٤]، وقال هاهنا: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد الآية ١]، فكأنه تعليل لأمره بالتسبيح؛ فكأنه قال: لقد سبحه ما في السموات والأرض

فسبحه أنت أيضاً كما سبحه أولئك، فتشترك معهم في التسبيح وتوافقهم في تنزيهه سبحانه)<sup>(٤)</sup>. وجاء في روح المعاني: (وجه اتصالها بالواقعة أنها بدأت بذكر التسبيح، وتلك ختمت بالأمر به، وكان أولها واقعا موقع العلة للأمر به، فكأنه قال: فسبح باسم ربك العظيم؛ لأنه سبحانه له ما في السموات والأرض)<sup>(٥)</sup>.

(وفي سورة القيامة وسورة الانسان ذكر: قال تعالى في اواخر سورة الانسان ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً] [الإنسان من الآية ١ الى الآية ٢]، فالمذكور في سورة (الانسان) قبل ان يكون الانسان شيئاً مذكوراً، وفي سورة القيامة وما بعد ذلك؛ بل ان كلتا السورتين في شأن الانسان على العموم)<sup>(٦)</sup>.

• مناسبة الفاصلة للآية:

والفاصلة: هي الكلمة الأخيرة من الآية القرآنية، يقابلها في الشعر: القافية، وفي النثر: السجع؛ لكن الفاصلة القرآنية تختلف عن القافية في الشعر، والقريضة في السجع اختلافاً جوهرياً من حيث المبنى والمعنى، أما من حيث المبنى: فإن الفاصلة القرآنية لا تلتزم رويًا واحدًا كما في الشعر، وأما من حيث المعنى

(٤) على طريق التفسير البياني: ١ / ٢٣٥.

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم: شهاب الدين السيد محمود الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية - دار إحياء التراث العربي: ٢٧ / ٢٥٢. وينظر: التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم: ١٥١.

(٦) التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم: ١٧١ / ١٧٠.

(١) على طريق التفسير البياني: ١ / ٩٩.

(٢) البحر المحيط: ٨ / ٥١٣.

(٣) مفاتيح الغيب: محمد بن عمر، فخر الدين الرازي،

المطبعة البهية المصرية، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م: ٣٢ / ١٠٧.

فإن الفاصلة لا تأتي لمجرد الوزن والنغم والموسيقى كما في الشعر، بل انها تتصل اتصالاً وثيقاً بمضمون الآية ومعناها<sup>(١)</sup>.

وتنقسم الفاصلة من حيث ارتباطها بمضمون الآية وصلتها بها إلى أربعة أقسام<sup>(٢)</sup>:

أولاً: التصدير: وهو أن تتقدم لفظة الفاصلة ببادتها في أول صدر الآية، او في أثنائها، او في آخرها كقوله تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ

﴿٨﴾ [آل عمران الآية ٨].

وقد ذكر لنا الدكتور فاضل السامرائي هذه القضية وهي مراعاة الفاصلة القرآنية وأكد أن مراعاة الفاصلة ليس المراد منه فقط مراعاة النغم الموسيقي، بل المراد منه مراعاة مقتضى الكلام والمعنى. فقال:

(فهو قد راعى الانسجام الموسيقي وما يقتضيه الكلام، فلم يجز موطن على آخر، وهذا غاية الإعجاز ونهاة الحسن في الكلام)<sup>(٣)</sup>. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم الآية ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل الآية ١٨]. فقد تضمن أنه ختم آية ابراهيم بقوله (كفار) مراعاة لفواصل الآي في هذه السورة، وختم آية النحل بـ(رحيم) مراعاة لفواصل الآي فيها.

ثانياً: التوشيح: وهو أن يرد في الآية معنى يشير إلى الفاصلة، حيث تعرف منه قبل قراءتها، قال تعالى: ﴿وَعَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ اللَّيْلَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ

﴿٣٧﴾ [يس الآية ٣٧]، وقد سمي توشيحاً؛ لأن معنى الآية يدل على فاصلتها. ثالثاً: الإيغال، (وهو بلوغ المنتهى في الشيء وفي الكلام إذا أتم معناه ثم تعداه بزيادة فيه فقد أوغل)<sup>(٣)</sup>.

وهي هنا أن تأتي الآية بمعنى تام، وتأتي الفاصلة بزيادة ذلك المعنى كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ مَدِيرِينَ﴾ [النمل الآية ٨٠]. فجاءت الفاصلة (مدبرين) لتزيد على معنى الآية إذ أوغلت في التعبير عن توليهم وبالغت في تصوير

(١) ينظر: علم المناسبات واهميته في تفسير القرآن وكشف أعجازه، د. عتر: ٧٨.

(٢) المصدر نفسه: ٧٨-٧٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٩٦/١.

(٤) ينظر: الاتقان في علوم القرآن: ٣/٣٠٢؛ والبرهان في

علوم القرآن: ٩٨/٧.

(٥) التعبير القرآني: ٢١٨.

كلمة مناسبة للسياق الذي ورد فيه، فالأولى في سياق الحق ونقيض الحق الباطل، والثانية في سياق الايمان، ونقيض الايمان الكفر<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ [القصص من الآية ٧١ الى الآية ٧٢].

قال الدكتور السامرائي: (فانظر كيف ختم آية الليل بقوله (أفلا تسمعون)، لأنَّ الليل يصلح فيه السمع، وختم آية النهار بقوله (أفلا تبصرون)؛ لأنَّه صالح للإبصار)<sup>(٥)</sup>.

قال الزركشي: (فاقتضت البلاغة أن يقول (أفلا تسمعون) لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع ولا يصلح للإبصار)<sup>(٦)</sup>.

قال: (وسر هذا الاختلاف أن آية هو في مَنْ صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضوعف لهم العذاب، وآية النحل في مَنْ صدَّ هو ولم يصد غيره، فكان الأولون أخسر من الآخرون فجيء لهم بالتفصيل)<sup>(٧)</sup>.

#### • مناسبة الآيات بعضها مع بعض:

وهذا النوع من أكثر الأنواع وجودًا لكثرة عدد الآيات وترابطها فيما بينها، ولتنوع العلاقة بينها وهو

وذلك أن الآية في سورة ابراهيم في سياق وصف الانسان وذكر صفاته فختمت الآية بصفة الانسان، وان الآية في سورة النحل في سياق صفات الله تعالى فذكر صفاته<sup>(١)</sup>.

وقد جاء في معترك الأقران: (إنما خص سورة إبراهيم بوصف المنعم عليه، وسورة النحل بوصف النعم، لأنه في سورة إبراهيم في مساق وصف الإنسان. وفي سورة النحل في مساق صفات الله وإثبات ألوهيته)<sup>(٢)</sup>

وقال الزركشي: (أن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جبل عليه فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى وإثبات ألوهيته وتحقيق صفاته فناسب ذكر وصفه سبحانه)<sup>(٣)</sup>.

ومن بديع الفاصل القرآنية قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ [غافر الآية ٧٨]. وقوله تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ [غافر الآية ٨٥].

وقد اهتم السامرائي بإيضاح الاختلاف في الفاصلة بين الآيات المتشابهات؛ حيث تحتاج إلى بعد نظر وتأمل، كما في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ [هود الآية ٢٢] وقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخٰسِرُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾ [التخل الآية ١٠٩]. (فقد ختم الآية الأولى بقوله (المبطلون)، وختم الثانية بقوله (الكافرون)، وذلك لأن كل

(٤) التعبير القرآني: ٢٢٤.

(٥) التعبير القرآني: ٢٢٥.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ٨٠ / ١.

(٧) التعبير القرآني: ٢٣٠.

(١) التعبير القرآني: ٢٢٠.

(٢) معترك الأقران: ٤٤ / ١؛ وينظر: ملاك التأويل: ٥٨٠ / ٢.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٨٦ / ١.

ثالثاً: أن تحتاج معرفة المناسبة بين الآيتين إلى تأمل، وهنا لا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط؛ إذ إنَّ الرابط في الأقسام السابقة لفظي، والرابط هنا معنوي تنزل فيه الآية الثانية من الأولى بمنزلة جزئها الثاني، ومنه إلحاق النظير بالنظير، وهو من أدب العقلاء.

من ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١﴾  
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ٥﴾ [الأنفال من الآية ١ الى الآية ٥].

قال الزركشي: (إن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كرهه من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون وذلك أنهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأنفال وحاجوا النبي ﷺ وجادلوه فكره كثير منهم ما كان من فعل رسول الله ﷺ وألْكَفَرُونَ في النفل فأنزل الله هذه الآية وأنفذ أمره بها وأمرهم أن يتقوا الله ويطيعوه ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء ما، بعد أن كانوا مؤمنين) (٣).

وقد امتلأت كتب الدكتور فاضل السامرائي بذكر مناسبة الآيات بعضها مع بعض، إلا أننا ومن باب

على ثلاثة أقسام (١):

أولاً: أن يكون الارتباط بين الآيتين واضحاً ظاهراً، إما لتعلق الكلام بعبئه ببعض، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ١٦٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿البقرة من الآية ٢١٩ الى الآية ٢٢٠﴾، فالآية الثانية متعلقة بالأولى بحكم حرف الجر. وقد تكون الآية الثانية على جهة التأكيد والتفسير للآية الأولى، أو الاعتراض الشديد.

وهذا كله ظاهر واضح لا يحتاج إلى بحث وتأمل كقوله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٢﴾ [الملك من الآية ١ الى الآية ٢].

ثانياً: أن لا يظهر الارتباط بين الآية والتي قبلها بل تبدو الآية وكأنها مستقلة عن سابقتها ثم تكون معطوفة عليها، والعطف يفيد التشريك في الحكم بين الآيتين، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿البقرة من الآية ٢٤ الى الآية ٢٥﴾.

الرابط هنا هو التضاد بين الكافرين والمؤمنين والوعيد بالنار للكافرين، والوعد بالجنة للمؤمنين. وقد جرت عادة القرآن أن يذكر الوعد بعد الوعد والرحمة بعد العذاب. وهكذا (٢).

(١) علم المناسبة واهميتها في تفسير القرآن وكشف اعجازه: ٥٠-٤٥.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٣٣/٢.

سَعَيْكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ [الإنسان الآية ٢٢].

قال السامرائي: (لما ذكر أن هؤلاء لا يريدون ممن أحسن إليهم جزاءً ولا شكوراً، جزاهم ربهم أحسن الجزاء وشكر لهم سعيهم، فقال: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان الآية ٢٢]، فكان جزاءً بالفعل وشكرًا بالقول) (٣).

من هذا يتبين لنا كيف أن شيخنا كان يعبر عن علاقة الآيات بعضها ببعض بأسلوب بسيط سهل ممتع يستشعر القارئ له بعظمة القرآن، وحلاوة أسلوبه، وعلو نظمه، ولذا كتاب بهذا المستوى العالي من البلاغة والإعجاز لا يمكن لبشر أن يأتي بمثله ولا يستطيع عاقل وهو يتأمله إلا أن يخزله ساجداً مؤمناً به.

#### • مناسبة المفردة لسياق الآية:

وهذا مبحث فريد كان لأستاذنا وشيخنا الدكتور فاضل السامرائي السبق في بيانه وإيضاحه وتطوره؛ حيث عمد إلى استقصاء الكلمات المترادفة لغة، ولسنا بصدد بيان آراء العلماء من لغويين ومفسرين في المراد من الترادف، وهل أنه واقع أم لا؟ لكن نذكر فقط أن القرآن الكريم استعمل كل لفظة وكلمة للدلالة على معنى خاص لم يستعمل غيرها في هذا الموضوع، ولو استبدلت كلمة أخرى لما أدت الغرض المراد منه وهذا يظهر جلياً من خلال استقصاء الكلمات المتشابهة، وجمعها، وبيان معنى كل منها، ونحن هنا لا نلغي جهود القدماء والمحدثين من العلماء في الوقوف على معاني الألفاظ ودلالاتها كالباقلافي

الاختصار وحتى لا يطول الكلام فيذهب بعضه ببعض، سنذكر ثلاثة أمثلة من كتبه ليتبين لنا كيف كان يراعي مناسبة الآيات ويهتم بها، ويعتبرها جزءاً مهماً يعتمد عليه في تفسيره للآيات.

كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْتُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [هود الآية ٣٢].

قال في معرض ذكره لمناسبة الآية لما قبلها: (بعد أن أسقط الشبه التي ذكرها فيه وفي أتباعه ولم يبق عندهم ما يحتاجون به أرادوا أن يقطع الجدل معهم؛ إذ لا فائدة من الكلام والجدال وإن طال وكثر، فقالوا له: إنك قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا به من العذاب الأليم إن كنت صادقاً في دعواك) (١).

وهنا يعبر السامرائي وكعادته عن المناسبة بأبسط الألفاظ وأسهلها وأبعدها عن التعقيد والتكلف، حيث خالف في مسعاه السابقين له الذين تكلفوا في الوصول إلى علاقة الآيات بعضها ببعض، حتى إنك لا تكاد تصل إلى المراد من قولهم إلا بتكلف وعناء.

وفي قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمْرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس الآية ٣٥]، قال: (بعد أن ذكر الحبة وهو الهم ذكر الجنات من النخيل والأعناب وهما دون الحب بالنسبة إلى طعام الناس، والمقصود بالنخيل والأعناب هما الشجر وليس الثمر، ولذلك قال فيما بعد: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمْرِهِ﴾ [يس الآية ٣٥] (٢).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ

(١) على طريق التفسير البياني: ١٢٦/٣.

(٢) على طريق التفسير البياني: ١٢٢/٢.

(٣) على طريق التفسير البياني: ١٨٧/١.

بداية العاصفة ريح طيبة؛ لكن لا تغتروا بها فالفرح والترف بهذه الريح قد يعقبها ريح عاصفة مدمرة تكون في نهايتها الهلاك.

ومن ذلك أيضًا استعمال مفردتي المطر والغيث، حيث استعمال الأولى للعذاب واستعمال الثانية للخير، فقال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [النمل الآية ٥٨]. فأراد هنا مطر العذاب والشر الذي وقع بهم نتيجة كفرهم وتكذيبهم بآيات الله، بينما استعمال كلمة (الغيث) للدلالة على الخير، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى الآية ٢٨]، فأراد بالغيث هنا الخير الذي أحيا به الله الأرض بعد موتها<sup>(٣)</sup>.

ولا يفوتنا أن نذكر قول لشيخنا السامرائي عن المناسبات بين السور ذات المواضيع المتشابهة، اذ بين في كتابه (لمسات بيانية) الفروقات في قصة ابراهيم عليه السلام في سورتي: الحجر والذاريات، وبين أوجه التشابه، وأوجه الاختلاف، وعلل ذلك لمناسبة السياق، ودرس قصة موسى عليه السلام في سورتي: النمل والقصص، وبين الفروقات ثم ذكر سببها وهو: جو السورة في القصص الخوف والتبسط، والتفضيل في الكلام. اما جو سورة النمل: التكريم وثقة النفس لدى موسى عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

والغرناطي والجاحظ وغيرهم؛ لكن مما يميز الدكتور السامرائي أنه جمع كل الكلمات والآيات التي وردت فيها وخرج لنا بقواعد ثابتة عن استعمال القرآن لها، نذكر على ذلك بعض ما أورد من أمثلة يتضح من خلالها استعمال القرآن للمفردة استعمالاً خاصاً للدلالة على معنى معين.

من ذلك (الرياح) استعملت في كل آيات القرآن الكريم للدلالة على الرحمة والخير، بينما استعمل (الريح) للدلالة على الشر والعذاب<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف الآية ٥٧]، فدلت هذه الكلمة في هذا السياق على أن المراد بالرياح هنا الرحمة والخير، بينما استعمل الريح للعذاب والشر. كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتَهُ﴾ [آل عمران الآية ١١٧]، وقوله تعالى: ﴿رِيحٍ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحزاب الآية ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرَّصِرَاتٍ﴾ [الحاقة الآية ٦]، وكل هذه المفردات دلت على معنى واحد وهو العذاب والشر.

(ولم يستعمل (الريح) في الخير إلا في موطن واحد أعقبه بالشر، فكانت الخاتمة غير حميدة)<sup>(٢)</sup>، وكان الأعمال بخواتيمها، حيث قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس الآية ٢٢]، وكأنه استعملها في سياق الخير المؤقت غير الدائم الذي سرعان ما تحول إلى شر دائم كان فيه العذاب والهلاك، كأنه أراد أن يقول: إن

(٣) ينظر: التعبير القرآني: ١٥ .

(٤) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: د. فاضل صالح السامرائي، د. مط، د. ت: ٧٧-٨٢ .

(١) التعبير القرآني: ١٤ .

(٢) التعبير القرآني: ١٤ .

ذكرت فيها.

سادساً: ينطلق السامرائي في نظريته للمناسبة القرآنية من قواعد اللغة المقررة والأصول الثابتة، والبعد عن التعليل الذي لا يقوم على أساس من مسلمات اللغة وأحكامها.

## الخاتمة

وفي ختام هذا البحث يمكننا الخروج بالنتائج التالية:

أولاً: إنَّ علم المناسبة من العلوم المهمة في بيان تفسير القرآن الكريم وإعجازه، والوصول إلى المعنى المراد من السور والآيات، وقد حظي باهتمام من القدامى والمحدثين على تفاوت بينهم بين مقل ومتكلف، وقد كان السامرائي من أواخر من كتب في هذا المجال وأبدع فيه أيما إبداع.

ثانياً: كانت للسامرائي جهود كبيرة في علم البيان والإعجاز القرآني، وكانت امتداداً لما سبق، لكنه تفوق على أقرانه بطريقة بحثه وعرضه للمادة العلمية معقّباً حيناً، وممحصّاً حيناً آخر، وراداً حيناً، وانفرد بآراء جديدة لم يسبق أحد إليها.

ثالثاً: إنَّ شخصية الدكتور فاضل السامرائي من الشخصيات العلمية البارزة والمؤثرة في الدراسات اللغوية والقرآنية في القرن العشرين، وهي تستحق البحث والدراسة لما أنتجه من كتب وبحوث علمية فريدة.

رابعاً: تميز عن سابقه في علم المناسبة بأسلوبه البسيط وكلماته المتواضعة وابتعاده عن التكلف والتعقيد والتأويل الذي يخرج المعنى عن المراد.

خامساً: تنوع ذكره للمناسبة بأنواع عدة اشتملت على ذكر مناسبة فواتح السور لخواتمها، ومناسبة السورة لما قبلها، ومناسبة الآية لما قبلها، ومناسبة الفاصلة للآية، ومناسبة المفردة لسياق الآية التي





## المصادر والمراجع

١. الاتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
٢. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي (ت: ١٣٧٩ هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر - القاهرة، ط/٣، ٢٠٠٢ م.
٣. الأصولان في علوم القرآن: د. محمد عبد المنعم القبعي، ط/١، مزيدة ومنقحة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٤. الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.
٥. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق: عائشة محمد علي عبدالرحمن المعروفة ببنت الشاطيء (ت ١٤١٩ هـ)، دار المعارف، القاهرة، ط ٧.
٦. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين الاندلسي (ت: ٧٤٥ هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، ط/١، ١٤٢٠ هـ.
٧. البرهان في تناسب سور القرآن: أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨ هـ)، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، ط/١، ١٤٢٨ هـ.
٨. البرهان في علوم القرآن: أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية.
٩. التعبير القرآني: الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار- عمان، ط/٥، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
١٠. التناسب بين السور في المفتح والخواتيم: د. فاضل صالح السامرائي، دار ابن الجوزي، ط/١، ١٤٣٢ هـ.
١١. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الأزهرى الهروي، أبو المنصور (ت: ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط/١، ٢٠٠١ م.
١٢. جهود فاضل السامرائي النحوية، رسالة ماجستير في جامعة تكريت- كلية التربية، تقدم بها الطالب (طلال وسام أحمد البكري)، لنيل درجة (الماجستير) في (اللغة العربية وآدابها). ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م
١٣. جهود فاضل السامرائي في التفسير البياني: رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- بغداد، تقدم بها الطالب (بشار عواد عثمان البدراني)، لنيل درجة (الماجستير) في (علوم القرآن) ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٤. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم: شهاب الدين السيد محمود آلوسي، إدارة الطباعة المنيرية- دار إحياء التراث العربي.
١٥. علم الإعجاز القرآني بين الفن والتاريخ: أ. د. خليل رجب حمدان الكبيسي، مركز الدراسات والنشر- صنعاء، اليمن، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٦. علم المناسبة وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه: أ. د. نور الدين عتر، دار الغوثاني للدراسات القرآنية- دمشق، ط/١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
١٧. على طريق التفسير البياني: د. فاضل السامرائي، نشر جامعة الشارقة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
١٨. القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في العراق: د. بهجت عبد الغفور الحديثي، المكتب الجامعي الحديث- مصر، ط/١، ٢٠٠٣م.
١٩. القواعد الحسان في تفسير القرآن: أبو عبدالله عبد الرحمن بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، مكتبة الرشد- الرياض، ط/١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٢٠. لسان العرب: محمد بن مكرم أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ط/٣، ١٤١٤هـ.
٢١. مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، ط/٢٤، ٢٠٠٠م.
٢٢. مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، مؤسسة الرسالة- بيوت، ط/٣، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٢٣. مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور: عادل بن محمد أبو العلاء، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٥هـ.
٢٤. معاني النحو: د. فاضل السامرائي، بيت الحكمة- جامعة بغداد، ١٩٨٦- ١٩٨٧.
٢٥. معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٢٦. مفاتيح الغيب: محمد بن عمر، فخر الدين الرازي، المطبعة البهية المصرية، ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.
٢٧. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٢٨. ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي أبو جعفر (ت: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية- بيروت.
٢٩. مناسبات الآيات والسور: أ. د. أحمد حسن فرحات، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد (١٠).
٣٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

